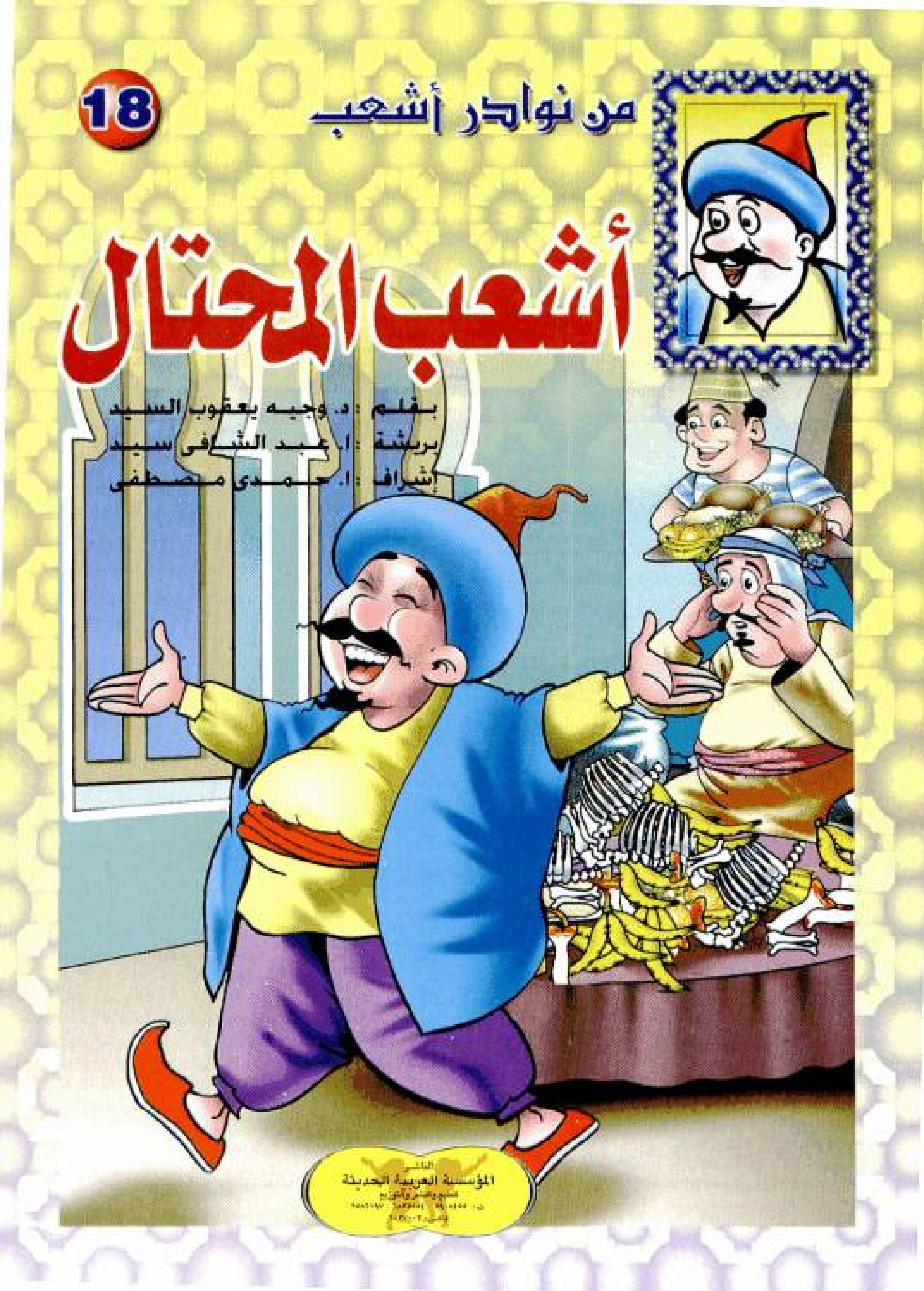

18
من نوادر أشعب
أشعب المحتال
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

من نوادر أشعب



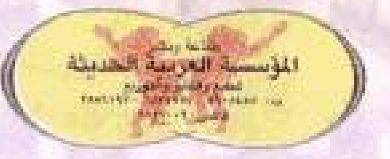
أشْعَبُ الطَّماع

شَخْصِيَّةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَم والشَّراهَةِ في الأكْلِ ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِعٍ ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتَظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرَّغْمِ من كلِّ هذا ، فقدْ كانَ أشْعَبُ شخْصِيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه ومواقِفِه الطَّرِيفَةِ !

أشعب المحتال

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى



كعادته خرج أَشْعَبُ من داره مُجولاً فى الشَّوارِعِ والأَزِقَّة بحثًا عن مائدة طعامٍ عامرة ، لكنَّهُ لم يعثر على ضالَّته ، فقد أغْلق النَّاس أَبْوابهم فى وجْههِ دون رحمةٍ أو هوادة .

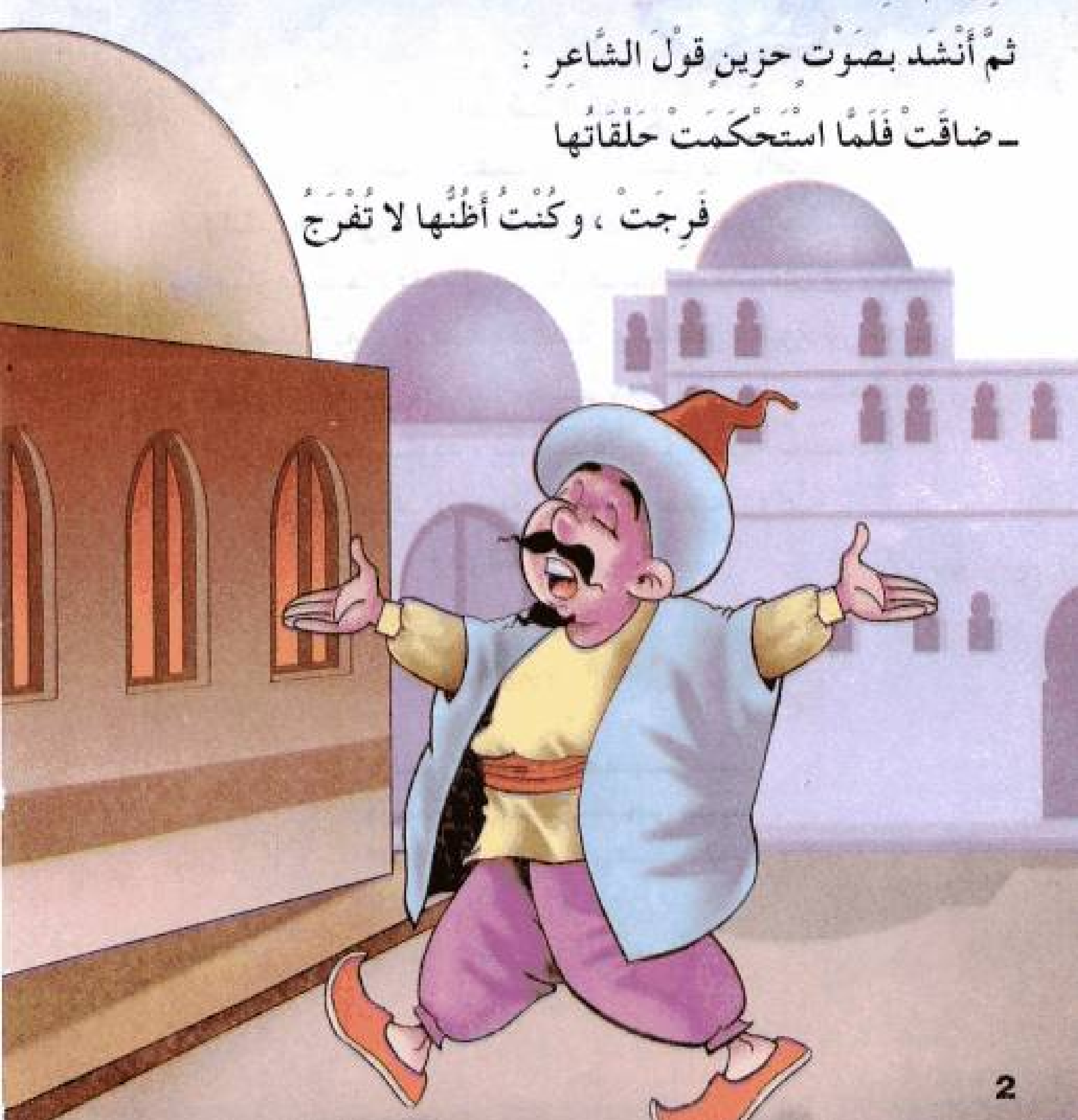
لكنَّ أشْعبَ قالَ لنفْسه :

ـ يجبُ ألاَّ أيْئسَ ، فاليأسُ أوَّلُ طريقِ الفشلِ ، فكمْ منْ مرَّةٍ ضاقتْ فى وجْهِي ثُمَّ فُرِجتْ .

ثمَّ أنْشدَ بصوْتٍ حزينٍ قوْلَ الشَّاعِرِ :

ـ ضاقَتْ فلمَّا استحْكمَتْ حلْقَاتُها

فَرِجَتْ ، وكُنْتُ أظُنُّها لا تُفرَجُ

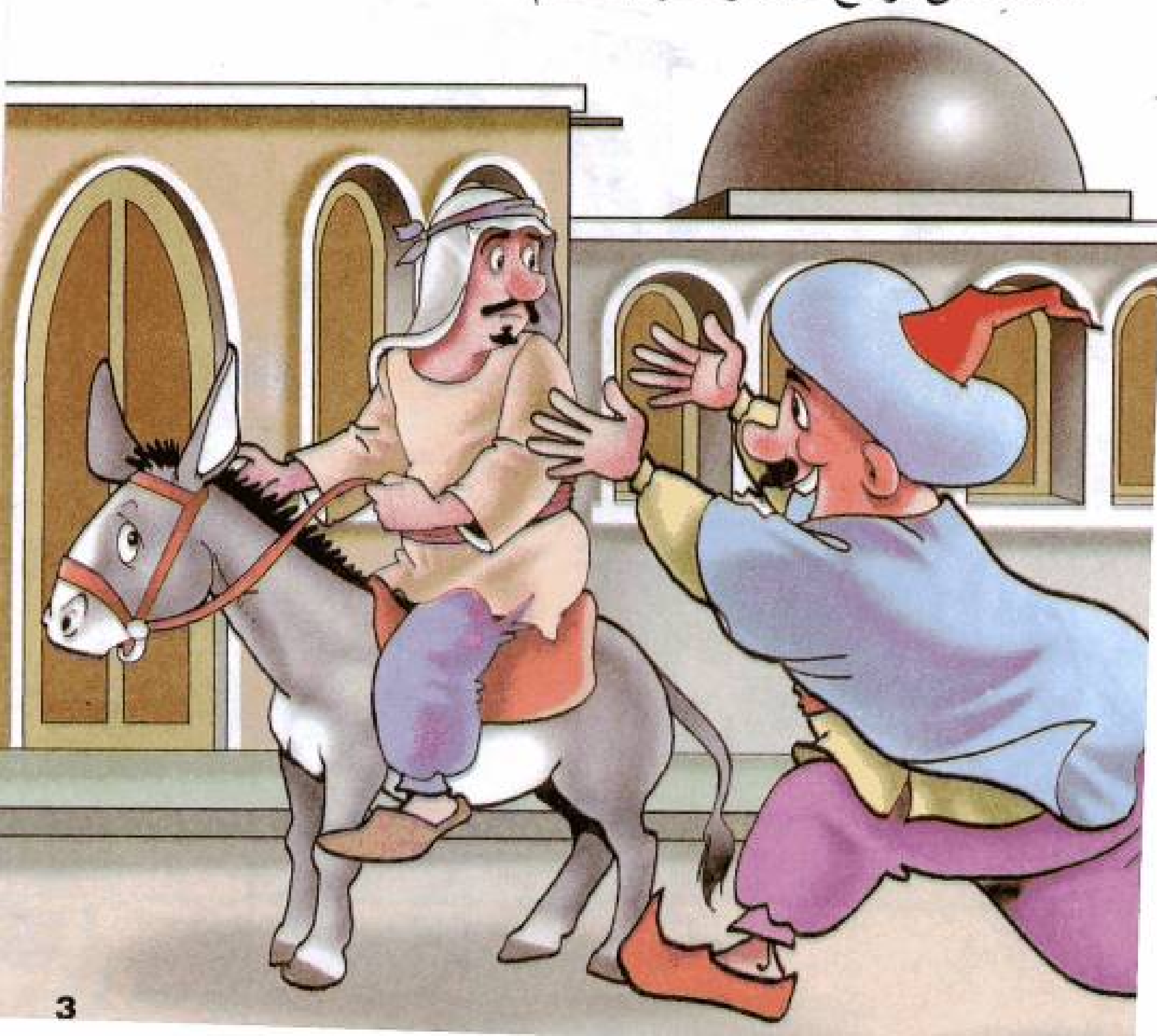


وَلَمْ يَكَدْ أَشْعَبُ يُتِمُّ كَلَامَهُ حتى لمحَ أَعْرَابِيًّا ساذَجًا يَمتطِي حِمارَهُ ، فأَسرَعَ نحوَه ، وأَبْدَى اهتِمامَهُ وتَرحِيبَهُ وقالَ وهوَ يحتَضِنُهُ :

ـ السَّلامُ عليكُمْ يا « أبا زيْدٍ » ! مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟

ثم أَضافَ أَشْعَبُ قائلاً :

ـ لا شَكَّ أَنكَ مُتْعَبٌ بسببِ مشقَّةِ السفَرِ ووَعْثَاءِ الطَّريقِ ، هيَّا بنا إلى البَيتِ لكَيْ ترتَاحَ قليلاً وتتَنَاوَلَ الطَّعامَ .

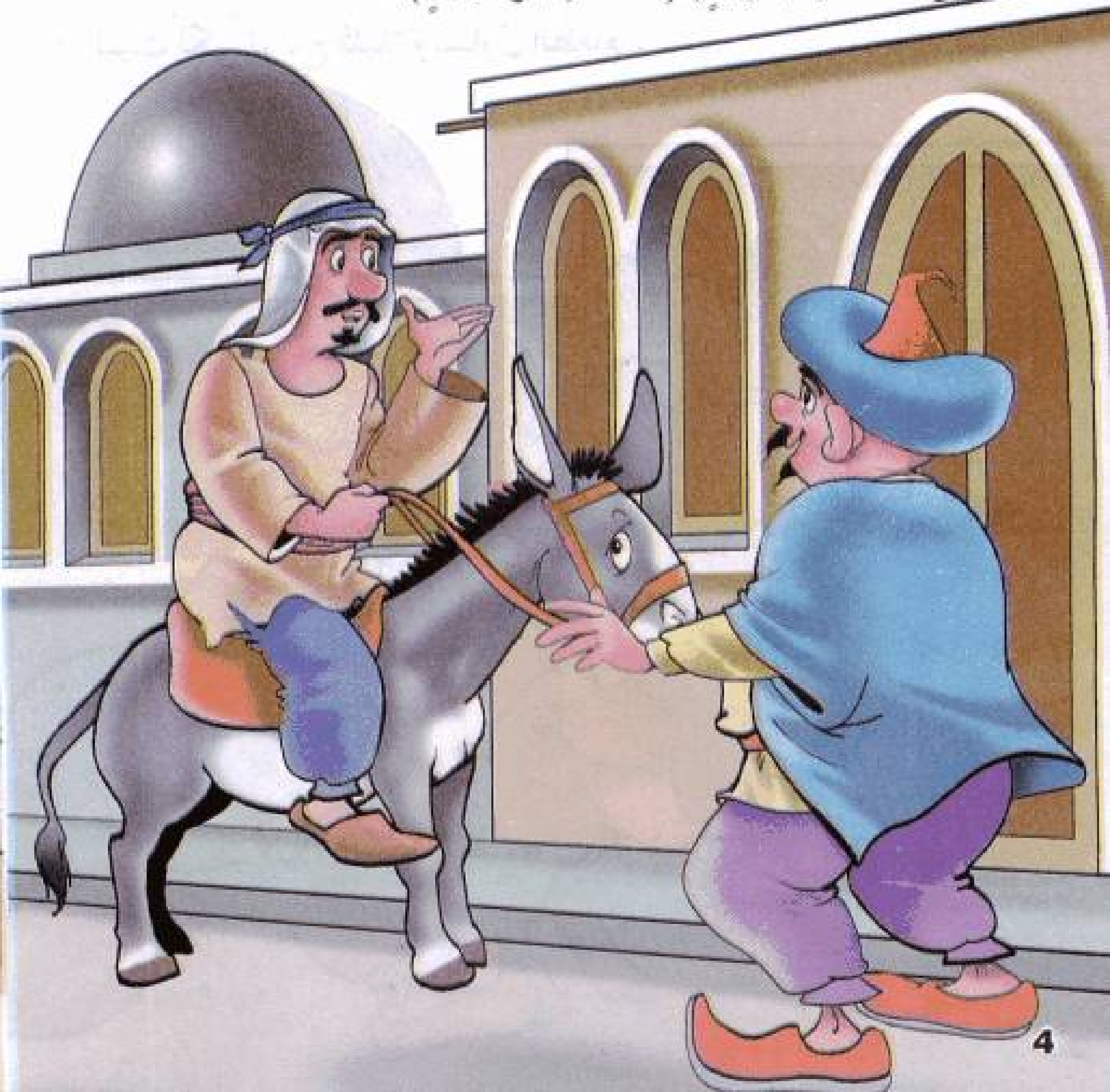


ارْتبكَ الأَعْرابِيُّ وعَقَدتِ الدَّهْشَةُ لسانَهُ فلمْ يقْدِرْ على الْكَلامِ ، فهوَ لمْ يرَ أشْعَبَ من قبْلُ ، ثم إنَّ اسْمَهُ ليسَ كما ذكَر ، وإنَّما اسْمُهُ (أبو عُبَيْد) ، وقالَ في نفْسه :

- لاشكَّ أنَّ هذا الشَّيْخَ قدِ اشْتَبهَ عليهِ الأَمْرُ ، وربَّما ظنَّ أنَّني أحدُ أصْحابِه .

حملَقَ الأَعْرابيُّ في أشْعبَ طويلاً ثم قالَ في استِغْرابٍ :

- لكنَّني لسْتُ (أَبا زَيْدٍ) إنَّما أنا (أَبُو عُبَيْدٍ) .





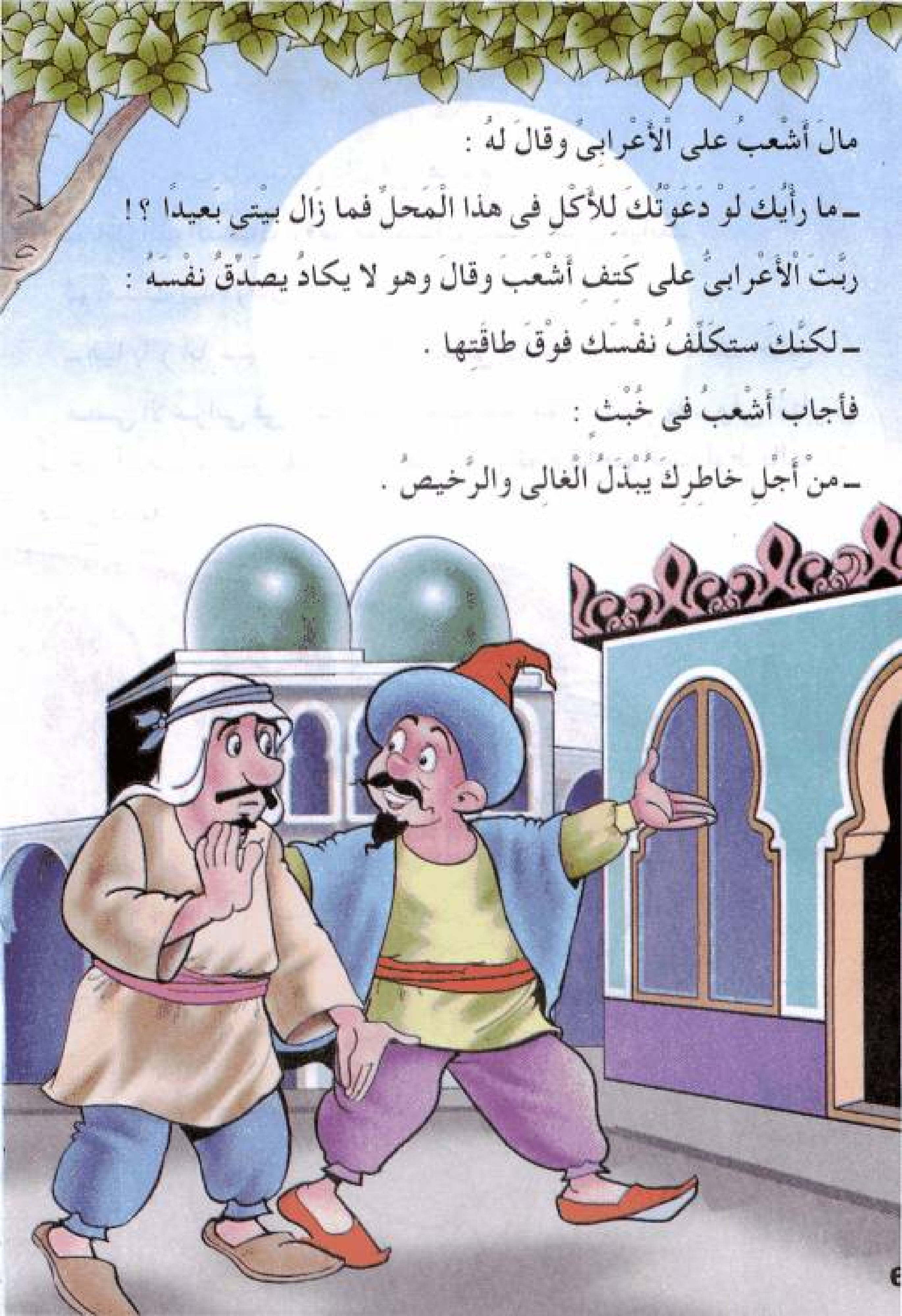
تظاهرَ أشعبُ بالْجديَّة وقالَ فى اهتمامٍ :

ـ قاتَلَ اللهُ النِّسْيانَ ، فقدْ نسيتُكَ بسببِ طوْلِ غيابِكَ .

ثم أمْسكَ بيَده وقالَ :

ـ هيا يا (أبا عُبَيْدٍ) نذْهبُ إلى منْزِلى نتغدَّى ، فلا شكَّ أنكَ جائعٌ . .

مضَى الْأعْرابىُّ فى صُحْبةِ أشْعبَ ـ برغْمِ استغْرابه ـ وفى الطَّريقِ فُوجِئَ أشْعَبُ بمحلٍّ للشّواءِ تنبعثُ منه رائحةُ اللَّحمِ الْمخلوطِ بالتَّوابلِ فسالَ لُعابُهُ .



مالَ أشْعبُ على الْأعْرابِيِّ وقالَ لهُ :

ـ ما رأيُك لوْ دعوتُك للأكْلِ في هذا الْمَحلِّ فما زالَ بيْتي بعيدًا ؟!

ربَّتَ الْأعْرابيُّ على كَتِفِ أشْعَبَ وقالَ وهوَ لا يكادُ يصدِّقُ نفْسهُ :

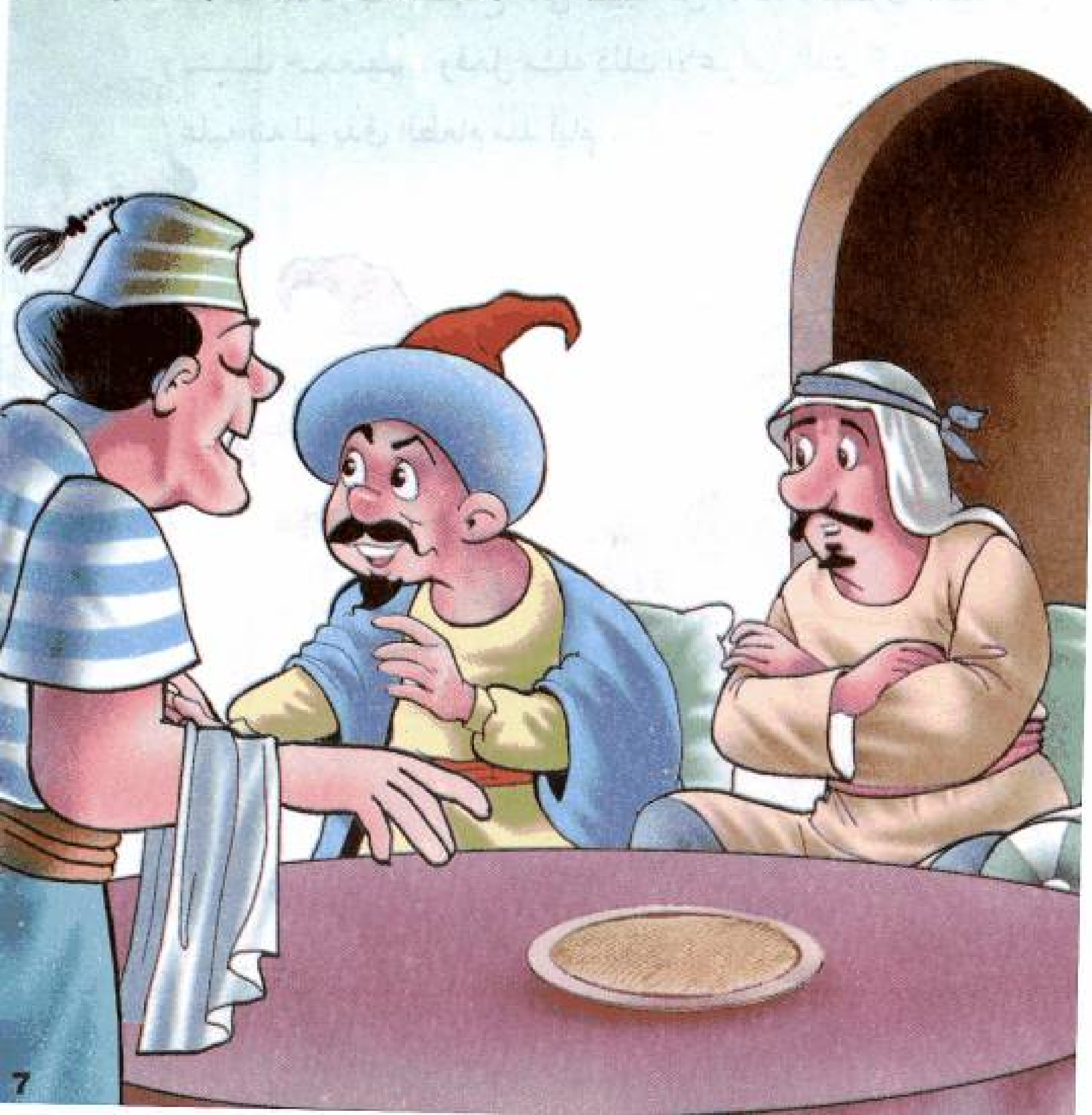
ـ لكنَّكَ ستكلِّفُ نفْسكَ فوْقَ طاقتِها .

فأجابَ أشْعبُ في خُبْثٍ :

ـ منْ أجْلِ خاطرِكَ يُبْذلُ الْغالي والرَّخيصُ .

وعلى الْفورِ كانَ أَشْعَبُ والأَعْرابِىُّ داخلَ الْمَحلِّ جالسَيْنِ على مائدةٍ مُعَدَّةٍ لكبارِ الزَّبائنِ .

طلبَ أَشْعَبُ من صاحبِ الْمَحلِّ أن يضعَ أمامهُ وأمامَ صاحبه من أطايبِ الطَّعامِ ، كما أظْهَرَ حفاوتَهُ أكْثرَ بذلك الأعرابىِّ ، فطلبَ من صاحبِ الْمَحَلِّ أنْ يضعَ أمامَهُ أجْودَ أنواعِ الطَّعامِ وأنْ يزيدَ لهُ فى كَمِّيَّةِ الطَّعامِ .



وعلى الْفَوْرِ كانت الْمائدةُ عامرةً بكُلِّ ما لذَّ وطاب : شواءٍ رائحتُه تُحْيِي النُّفُوسَ الْجائعَةَ ، بطٍّ ودجاجٍ ، بالْإضافةِ إلى أطْباقِ الْفاكهةِ التى تزيِّنُ الْمائدةَ وتفتحُ الشَّهيةَ للطَّعامِ .

لمْ يكُنْ أشْعبُ فى حاجةٍ إلى شئٍ يفْتحُ شهيَّتَه فقد هجم على الطَّعامِ كما يهْجمُ الْمحاربُ الشُّجاعُ على كتيبةٍ من الْأعْداءِ فيُفرِّقُ شملَهم ويُشتِّتُ جمْعَهم ، وفعل مثْلَه ذلك الْأعْرابىُّ الَّذى كان ظاهرًا عليْه أنه لم يذُقِ الطَّعامَ مُنْذُ أيامٍ .

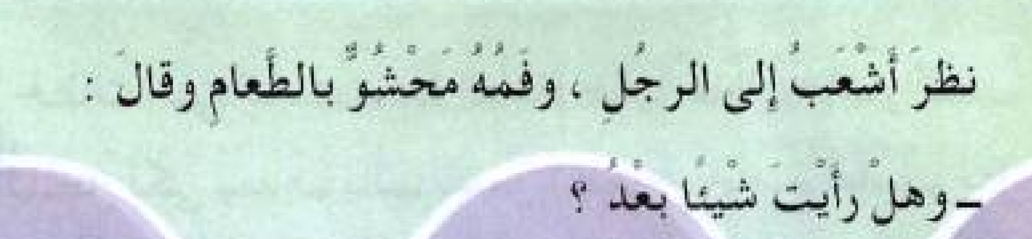


وما هى إلا لحظاتٌ حتى كانتْ مائدةُ الطَّعامِ خاليةً تمامًا ، فأشارَ أشْعبُ إلى صاحبِ الْمحلِّ لكىْ يُمدَّهُمْ بالْمزيدِ من الطَّعامِ ، فوضعَ أمامهُمْ مثْلَ الطعامِ الَّذى وضعهُ من قبْلُ أوْ يزيدُ .

أثْنى الأعْرابىُّ على أشْعبَ قائلاً :

- إنَّنى لمْ أُقابلْ أحدًا فى حياتى بمثْلِ هذا الْكرمِ ، حقًّا إنَّ الْكرمَ من سجايا الْعُظماءِ ، ومُذ رأيْتكَ وأنا أقولُ فى نفْسى : « إنَّ هذا الرجُلَ فلْتةٌ من فلتاتِ هذا الزَّمنِ » .





نظرَ أشْعَبُ إلى الرجُلِ ، وفَمُهُ مَحْشُوٌّ بالطَّعامِ وقالَ :

ـ وهلْ رأيْتَ شيئًا بعْدُ ؟

ـ وماذا بَقِيَ ؟ لقدْ أكلْتُ شواءً ودَجاجًا وفاكهةً من كلِّ صنْفٍ ولوْنٍ .

ـ سوْفَ تذُوقُ الْحلوى على جميعِ أشْكالِها وأصْنافِها .

ـ لكنَّ بطْني لمْ يعُدْ فيه متَّسعٌ لذلكَ .

ـ لا تقلَقْ فسوْفَ يفْسحُ الطعامُ مكانًا للْحلْوى بجوارِه ، فهُما أخَوينِ متَحابَّيْنِ ..

ضحكَ الرجُلُ ضحكةً حمقاءَ وقالَ وهو يهرُشُ رأسَهُ بيدِه :

ـ يالكَ مِنْ رجُلٍ كريمٍ وأيْضًا خفيفِ الظِّلِّ .

ثم راحَ فى ضَحكٍ مُتواصلٍ قبْلَ أنْ يحشو فمهُ بالطَّعامِ .

الْتفتَ أشعَبُ إلى صاحِبِ الْمَحلِّ قائِلاً :

ـ زِنْ لأبى عُبَيْدٍ رِطْلَيْنِ من الْفالُوذَجِ واللَّوْزِينجِ حتى يأكُلَ هَنيئًا مَرِيئًا ، وما يتبقّى يأْخُذُه إلى أوْلادِه وأهْلِ بيْتِه .



نظرَ أَشْعَبُ إلى الرجُلِ الذى كانَ غارِقًا فى الطَّعامِ وقالَ له :

ـ نحْنُ محتاجونَ إلى ماءٍ مثلَّجٍ نشْربُه بعْدَ هذهِ الْوَجْبَةِ الدَّسِمَةِ .

ودُونَ أنْ يلْتَفتَ قالَ :

ـ أَجَلْ .

فقالَ أَشْعبُ :

ـ إذنِ ابْقَ جالسًا ولا تَبْرَحْ مكَانَكَ حتى أَعُودَ إليكَ بالْماءِ المثلَّجِ الذى يبَرِّدُ حلُوقَنا .

ـ شُكْرًا يا شَهْمُ .



خرجَ أشْعبُ لكيْ يُحْضرَ الْماءَ الْمُثلجَ كما أخْبرَ هو الرَّجُلَ بذلكَ ، ولكنَّهُ في قَرارةِ نفْسهِ كانَ قدْ قرَّرَ ألا يعودَ إلى الْمحلِّ ثانيةً .

مرَّ الْوقتُ سريعًا ، وأوْشكَ الْيومُ أنْ ينْقضيَ ، بيْنما كانَ الأعرابيُّ يغطُّ في نوْمٍ عميقٍ منْتظرًا قُدومَ أشْعبَ لكيْ يدْفعَ الْحسابَ ثمنًا للطَّعامِ .

مضى مزيدٌ من الْوَقْتِ ولمْ يأْتِ أشْعبُ فأدْركَ الرَّجلُ أنَّه لنْ يعودَ ، فهمَ هو الآخرُ بالْخُروجِ قبْلَ أنْ يحُلَّ الظَّلامُ ، لكنَّ صاحبَ الْمحلِّ جذَبهُ منْ ثوْبهِ بقُوَّةٍ وصاحَ فيه :



ـ أَيْنَ ثمنُ الْأَكْلِ يا رَجُلُ ؟

فقالَ الرجلُ فى براءةٍ :

ـ لقدْ أَكَلْتُ ضَيْفًا .

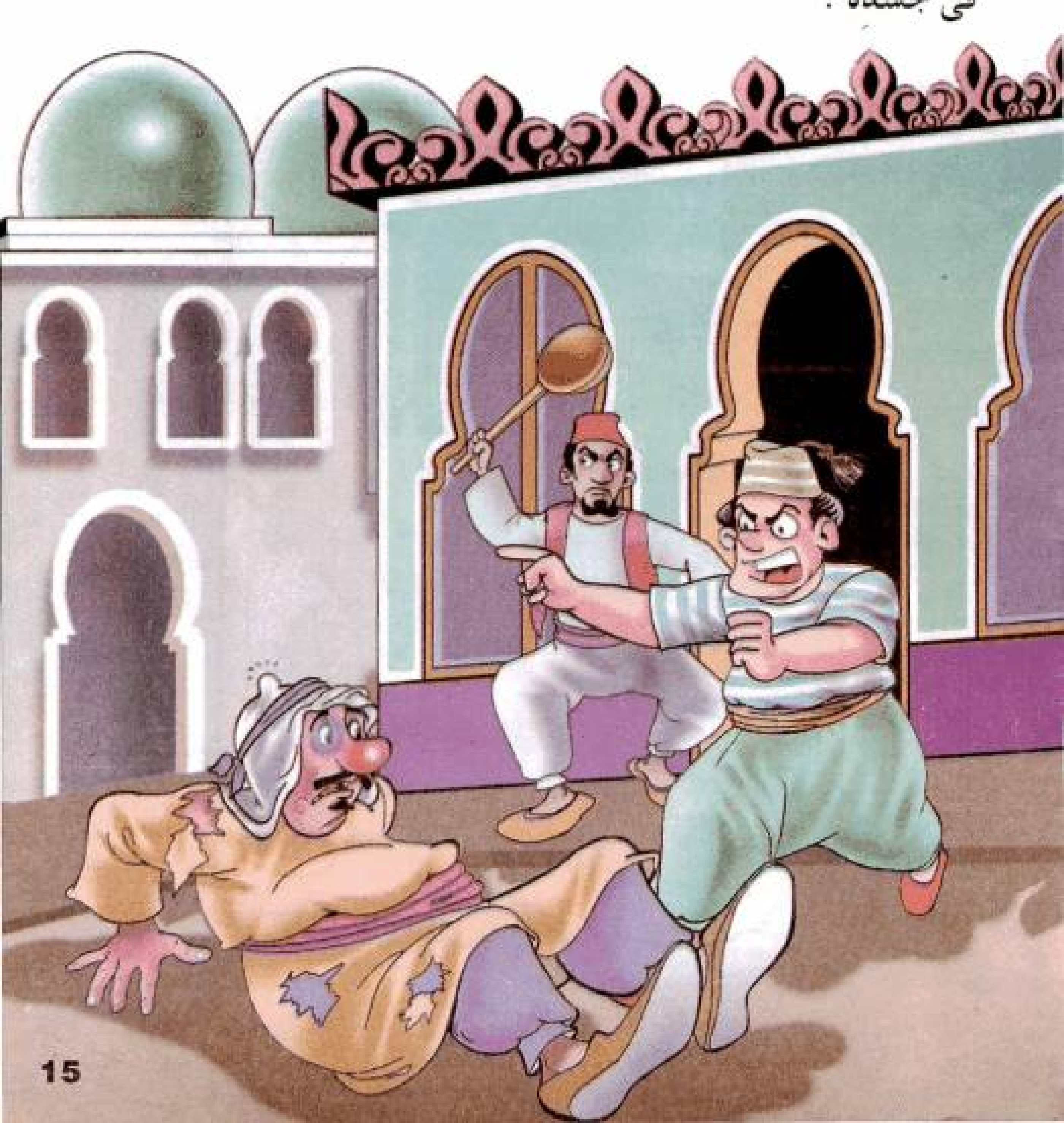
فصاحَ صاحبُ الْمحلِّ :

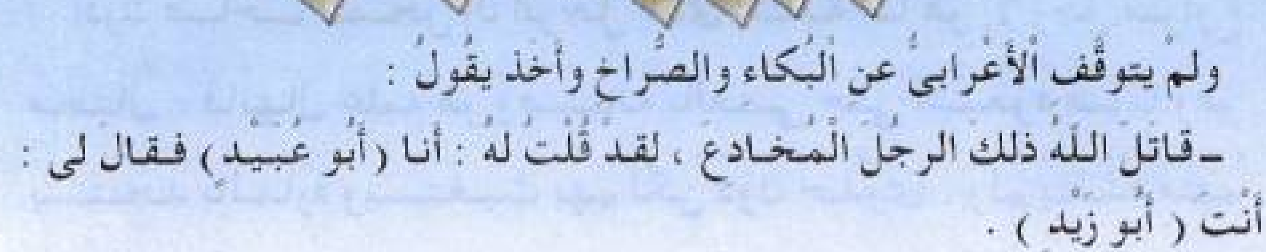
ـ ومَنِ الّذى ضيَّفكَ ؟

ـ ذلكَ الرجلُ الذى كانَ جالسًا بِجوَارى ، وقدْ ذهَبَ لِإحْضارِ ماءٍ مُثلجٍ .



أَدْرَكَ صَـاحِبُ الْمَـحَلِّ أَنَّ الرجُلَ الذى أَمَـامَـهُ مَـا هوَ إلا رَجُلٌ مُـرَاوِغٌ مُحْتَالٌ ، فانْهالَ عليه هو وصبْيانُهُ بالْعِصِيِّ حتى أَشْبَعُوهُ ضَرْبًا وهو يَسْتَنْجِدُ بالْمَارَةِ ويسْتَغِيثُ بهم لكنْ دُونَ جَدْوَى ، ولمْ يُنْقِذْهُ مِنهم إلا سُقُـوطُه على الأَرْضِ وظُهُـورُ نُدبَاتٍ مِنْ أَثَرِ الضَّـرْبِ على كلِّ جُزْءٍ في جَسَدِهِ .





ولمْ يتوقَّفْ الأعْرابيُّ عنْ البُكاءِ والصُّراخِ وأخذَ يقُولُ :

ـ قاتلَ اللهُ ذلكَ الرجُلَ المُخادعَ ، لقدْ قُلْتُ لهُ : أنا (أبو عُبيْدٍ) فقال لي : أنْتَ (أبو زيْدٍ) .

وعلى الجانبِ الآخرِ كانَ أشْعبُ يُواصلُ بحْثهُ الدءُوبَ والمُستمرَّ عنْ وليمةٍ جديدةٍ أوْ أحدِ الأعْرابِ السُّذَّجِ لكيْ يخْدعهُ كما خدعَ هذا المسْكينَ ..

(تمَّت)

رقم الإيداع : ٤٥٩٥ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي: ٧ - ٧٤٨ - ٢٦٦ - ٩٧٧